

فائق المير

على مساحة الجسد والروح ينتشر عبق اللذين غادرتهم، ويدميني صوت أي منهم عبر الهاتف.. أيها الرفاق والأصدقاء: كيف هي الأحوال عندكم؟؟

أمازالت "كتائب المداهمة ومكافحة الإرهاب"، تستبيح كرامتكم وتحاصر أرضكم على ضيقها، وتنتهك حرمة حياتكم وأجسادكم؟؟ أمازال المخبرون والبلطجية يطاردونكم ويقضون مضجعكم؟ ويعبثون ويخربون كل ما هو إنساني وحميمي في حياتكم وعلاقاتكم؟

وهل مازال المشبّحة وأصحاب النفوذ هم "أسياد" المكان، والمقابضين على كل موارد المعتقل، والمتحكّمين بكل أشكال التجارة الشرعية وغير الشرعية فيها؟ ومازالت تدفعون لهم من حياتكم ثمن الماء والهواء والمكان والزمان؟ ومازال ممنوع عليكم الاختلاط ببقية السجناء والمحدث معهم؟

وهل مازالت تصدر حوائجكم الصغيرة (الكأس، والسخانة، والملقعة، ومصاصة المتة) وتباع بنفس اليوم إلى غيركم؟؟ ومازال مفروضا عليكم احترام جرائد السلطة وعدم تعريض صور المسؤولين فيها لأية إساءة، وعقوبة المخالفة عشرة أيام في زنازين البرد والمقل والمجرى؟

تحياتي الحارة لكم جميعا وأنتم تدفعون عنا غائلة الفساد ومرارة التسلط بصمودكم البطولي وقولتكم الرائعة: لا لا لمن يمعن في تخريب الأوطان وتمزيق واهانة شعبها، وتسليط "كواسره" ومافياته ككوابيس على حياته اليومية.

تحية إلى فايز سارة، الذي يقاوم بجسده بالرغم من زحمة الأمراض والأوجاع فيه، تحية له وهو يصعد إلى سريره متكئا إلى إرادة لاتلين، وروح مضعة بالعزيمة والثقة بالمستقبل، وابتسامة لا تفارق وجهه.

والى محمود عيسى لأسأله: ماذا تبقى لك من "الحقوق" بعد أن حاصروك وأكلوا المكان من حولك، لكي لا تخرج المينا حاملا حريتك وإجازة في الحقوق. إنني على ثقة أنهم مهما فعلوا لن يستطيعوا النيل من جموح روحك ومن صلابة إرادتك.

وأسأل كمال اللبواني: ماذا تبقى منك بعد كل هذا الحقد والكيد، وكل الأذى الذي طال جسدك، وبعد سيل التهم المضحكة والمبكية التي لفقوها بحقك، لكنهم لم يدركوا أنهم بذلك يضيفون إلى سجل كفاحك في وجه الاستبداد وساماً جديداً سيكون على الدوام موضع تقدير واحترام كل المناضلين والمشرفاء من أبناء شعبنا الصابرين. أحييك بحرارة، وأتمناك طليقا بيننا.

والى العزيز أبا أيهم "ميشيل كيلو": أيها السبعيني المخضرم، الذي أثرى بنضاله ونشاطه وقلمه، الحياة الثقافية والسياسية السورية، والتي اعتبرها المستبدون أشياء هدامة، وموهنة لعزيمة الأمة، ومضعفة لشعورها القومي، وقد عبروا عن ثقافتهم هذه خير تعبير حين القوا بك نزيلا في سجونهم جنيا إلى جنب مع مرتكبي أبشع الجرائم الأخلاقية من القوادين ومديرو بيوت الدعارة. سأراك كما ودعتك مضعما بالأمل حافلا بالحياة والأحلام التي دأبت على غرسها فينا وفي الحياة على السواء.

السيدة الفاضلة: فدء حوراني يا ابنة مدينة أبي الفداء البطلة وفخرها، ياماجدة النساء السوريات ورمز نضالهن، صحيح انك لم تكوني أولهن ممن وقفن في وجه طاغوت التسلط وأدمنتهن مخالفه السامة، لكن وقفنك الصلبة والمشرقة، عبرت أصدق تعبير عن معاناة كل السوريات خصوصا وعن تطلعات الشعب السوري على وجه العموم. ستبقين الورد السورية الأجل، التي نسجت من جراح السوريين وقهرهم، الرؤية والموقف نحو سوريا الحرة العريضة، والتي ستعيد للشعب السوري حريته وكرامته.

إلى أبي جواد: أيها الدمشقي الأصيل، الذي أنعش ذاكرتنا لنستعيد مجد الأفاضل ممن عطرت سيرتهم بلاد الياسمين: القوتلي، والمخوري، والمقباني، وآخرين كثير، أنت الآن في قبضتهم ليمنعوك من السير في شوارع وأزقة الحارات العتيقة وتلتقي بناسها ومغرميها من البزورية إلى القنوات إلى الميدان، كيلا تتحدث إليهم أكثر عن مافاتهم من أخبار السلطان والسيلاطين، وتفضح المزيد من صفقاتهم وارتكابا تهم. لقد لمسوا فيك العزم والجرأة، ولن يسمحوا لأحد أن يخبر الشعب من هو سارق لثمة أطفاله والوالغ في أحلامهم النبيلة.

أبو سلام الحبيب: أيها المقبل دوماً على الحياة وعاشقها حتىّ القداميين. أما زلت في اطمئنانك الهادئ تقول: "يداك أوكتا وفوك نفخ"؟

لأبأس من بعض الشيب يزين مفرقك الحالِك. ستظل أكبر من المحنة. وأحترم ولعك بالحرية.. ونحن بانتظارك.

إلى طلال - وجبر: أيها الصديقين الجميلين حد الوفاء، كلي ثقة أنكم ستجعلون للمكان معنى غير الوحشة والقهر، أنا واثق أن المعاني ستسرب من بين أصابعكم، ومن صدى المضحكات التي تستفز بتحررها عقد النقص لدى سجانكم، ومن انهمار الكلمات ومن رنينها، ستشقون دروباً رحبة وسط زنزانكم.... سلاماً يليق بجمالكم.

أشدّ بحرارة على ידי المناضل أباحسين (علي العبد الله)، الذي ألف السجون وزنازينها باعتبارها ثمناً للحرية، وعربون وفاء للشعب الطيب الذي امتزج فيه بكل أصالة. بماذا أناديك وأنت العطر السيرة في كل مكان تطأه قدمك، اعتقد أن الملايين أرادوا امتحانك قد أدركوا أنهم وهمون، ترى كيف تعيش لحظاتك المرة والثقيلة بعد أن عزلوك عن العالم، وجربوا فيك أحط أساليب حقدهم ليخضعوك؟ وكيف توزع قلقك المتشعب؟ أعلى عائلتك التي تركتها لأجهزة الأمن تنغص عيشها؟ أم على ولديك محمد وعمر، (محمد) في غربته القسرية؟ أم عمر نزيل سجن صيدنايا والذي بقي مصيره مجهولاً مثله مثل باقي نزلاء هذا السجن المرعب؟ كم أنت حين تتحمل كل هذا الوجد وتصد، وتبقى المابتسامة الممزوجة بالأمل على محيالك ولما تفارقك في كل الأوقات. كم أكبر فيك كل هذا وكما أشتاق اليك حيث أنت، يا من تنمو أشجار الحرية في كفيه.

سلاماً لعائلة (البنّي) الكريمة، والتي أصبحت التضحيات قدرها وجزأ من تقاليدها، ومطاردة الأشباح وحسس الليل وأذى السلطة طقساً من طقوس حياتها، أماً يكفي ما قدمته من قرابين؟ كل الحب والوفاء للرجال الأشاوس: أكرم وأنور صنوا الحرية، فأنتم في القلب دوماً وحاضرون معنا وفي أفعالنا.

إلى أحمد طعمه وياسر المعيتي... إلى مشعل وحبيب وماهر وعمر والشيخ ضرار ونزار.. وكل المقابيع في سجون الاستبداد وأقبيته، وإلى كل الذين ضحوا وماتوا دفاعاً عن كرامتهم وحرية شعبهم، سيثمر غرسكم لامحالة خمائل تظلل حياتنا وتحميها من لظى الفساد ونيران التسلط.

يتزايد عدد الأحبة والمشتاقون لكم، مثلما يتزايد شوقكم وشوقنا للحرية.

(*) كُتائب المدهمة ومكافحة الداهية: وهي تشكيل أمني عسكري قوامه من الشرطة، يقوم بشكل دوري (شهري) باقتحام السجن وهو مدجج بالمقنابل الغازية والمهاويات، ويقوم بتعرية النزلاء وجلدهم وتفتيشهم وتوجيه المظاهرات المشينة لهم والعبث بمقتنياتهم أو مصادرتها.